

ضمان جودة التعليم العالي: النموذج المعرفي مدخلا

1 | الصفحة

د. عبد المحسن عايض القحطاني

أستاذ مشارك

جامعة الكويت

abdulmuhsen.alqhtani@ku.edu.kw

Quality Assurance in Higher Education: Knowledge Model Approach

Dr. Abdulmuhsen Ayedh Alqahtani

Associate professor

Kuwait University

abdulmuhsen.alqhtani@ku.edu.kw

المحور: نوعية البرامج الأكاديمية وضمان الجودة

Theme: Study Programs and Quality Assurance

ملخص

يزداد التعليم العالي تعقيدا من حيث الحجم والأداء؛ وتلك قاعدة مضطربة. وقد اقتصر الجدل حول التعليم العالي في عالمنا العربي على ضعف الموازنات المخصصة له وهشاشة آليات الحوكمة فيه. لكن غاب عن أذهان الكثيرين أن رسالة التعليم المؤسسي المحورية هي المعرفة في أجلى صورها؛ وهذا هو السبب الرئيس لاستمرار تلك المؤسسات. وهذا الأمر يفرض تحديا أمام تلك المؤسسات يتمثل في إيجاد بيئة صحيحة لاكتساب المعرفة. وهذه المعرفة تحتاج لمفهوم وآليات إدارة المعرفة حتى تكون الاستفادة من المعرفة في أقصى حالاتها. وحتى تكون إدارة المعرفة فعالة، فإنها تحتاج لنموذج تسترشد به. وفي هذا السياق يأتي هدف الورقة الحالية، والذي يعرض لنموذج المعرفة كما اقترحه الباحث الهندي Mitra (2005) والذي يتناول موضوع المعرفة على أكثر من مستوى تنظيمي، بحيث يمكن تصوره في واقع مؤسسات التعليم العالي العربية.

Abstract

Higher education is getting complicated in size and function, which a constant phenomenon. The recent discussions on the higher education in Arab World pivot around inadequacy of allocated budgets and failure of firm governance. Most people concerned did not recognize, however, that the core mission of institutionalized education is to pursue knowledge in its perfect shape; and that is the only cause for those higher institutions to sustain. This paradigm imposes a challenge for them to create an appropriate environment to gain knowledge. The acquisition of that knowledge requires the concept and tools of effective knowledge management where we can maximize the benefits. In order to make that kind of management effective, we need a model to work with accordingly. The purpose of the current paper comes within this context, where the *Knowledge Model* developed by Mitra (2005) was used. The model discusses knowledge acquisition through a multi-level scenario, addressing real concerns in higher education in the Arab World.

المقدمة

3 | الصفحة

حين ننظر إلى واقع التعليم العالي ومظاهر ذلك الواقع، نلمس تنوعا مربكا في المشهد من حيث الكم ومن حيث النوعية. وأقل ذلك التنوع أنك الجامعات الحكومية ويقابلها الخاصة، وتجد الجامعات الربحية ويقابلها غير الربحية، بل وقد تجد الجامعات النظامية في مقابل تلك التي ليست نظامية لكنها بمفهوم الجامعة، وقد تكون كلية واحدة أو جامعة متعددة الكليات، وقد تكون متمحورة حول البحث العلمي أو متمحورة حول التدريس. ويتعدد الصور لمؤسسات التعليم العالي تتعدد الصورة أيضا. لكن، ومن بين كل تلك التباينات، يظل لكل مؤسسات التعليم العالي دور محوري رئيس - إنه المعرفة. فهي مؤسسات معرفية ومشروعاتها معرفية في المقام الأول (مرجع). فالمعرفة هي المتغير الثابت في المعادلة، بل هي العامل النشط في عالم سريعة تغيراته على أكثر من صعيد. بل إن المعرفة هي من أضاف عنصري التحدي والفرصة أمام تلك المؤسسات والأفراد المتخرجين فيها على حد سواء (مرجع). ولعل من أهم نتائج هذا التصور للمعرفة هو بروز الاقتصاد القائم على المعرفة (Knowledge-based Economy). فالجامعات هي الحاضن الأولي لتحويل المجتمع لذلك الاقتصاد. وعليه، فالجامعات لا بد وأن تتبنى استراتيجية لإدارة المعرفة تجعل منها مؤسسات تنافس منافسة أخلاقية المؤسسات الأخرى التي تقدم المعرفة منتجا لها أيضا. والداعي لهذا النوع من الإدارة هو أن أغلب المؤسسات، التعليمية وغيرها، تظل تائهة، إن صح التعبير، بين تسيير المعرفة وبين الأسلوب الأمثل لمقاربة تلك المعرفة للاستفادة منها الاستفادة الصحيحة.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحديد ماهية إدارة المعرفة وفق نموذج Mitra (2005). ثم تحاول التطرق إلى أهم ملامح ذلك النموذج التي يمكن الاسترشاد بها في مؤسسات التعليم العالي في علمنا العربي. وتحاول الورقة في نهاية المطاف توضيح أهم العوامل التي يجب مراعاتها عند تطبيق ذلك النموذج، بغية تأكيد ضمان جودة مؤسسات التعليم العالي.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تلفت الانتباه لنموذج من بيئة قريبة من بيئتنا. وهو يكشف للقائمين على التطوير أهمية إدارة المكون المعرفي في مشروعات الجودة للتعليم الجامعي. وعليه، فالمأمول أن ترفد هذه الدراسة الجامعات العربية المهتمة بأهمية البحث عن نماذج أكثر واقعية لبيئتنا التنظيمية والمؤسسية بحيث يمكن تجويد البرامج الجامعية على خطى صحيحة.

4 | الصفحة

منهجية الدراسة

وظفت الدراسة المنهج التحليلي لما هو منشور بخصوص نموذج Mitra (2005). ويتيح هذا المنهج لاستقراء أهم المفاهيم الرئيسة فيما هو منشور، ثم استنباط أهم الموضوعات التي تؤلف وحدة موضوعية للدراسة الحالية (Orcher, 2005).

نموذج المعرفة في التعليم العالي

في كل المؤسسات، فإن المعرفة متطلب ونتيجة في الوقت ذاته. وعليه، فإن البحث في عمليات المعرفة في مؤسسات التعليم العالي يوجب التنقيب عن عوامل النجاح لتلك العمليات. وتتضمن تلك العوامل الطلبة، والمنهج الدراسي، وأعضاء هيئة التدريس والسياسة المؤسسية. وقد جمع Mitra (2005) هذه العوامل وضمها نموذجاً.



شكل 1. نموذج المعرفة للباحث Mitra (2005)

يشير النموذج في شكل 1 إلى أن الطلبة حين التحاقهم بمؤسسات التعليم العالي، فإنهم يلتحقون بمعرفة يمكن الاصطلاح على أنها 'معرفة مدخل' (وهي المعرفة التي أهلتهم لدخول الجامعة متمثلة في حصوله على المؤهل الدراسي واجتيازه لاختبارات القبول إن وجدت) ويتخرج في الجامعة بمعرفة يمكن الاصطلاح على أنها 'معرفة مخرج' (وهي المعرفة التي تلقاها في الجامعة حسب منهج الجامعة ونوعية أساتذتها واللوائح المعمول بها). فالمعرفة التي يحصلها الطلبة بعد التخرج هي وفق المعادلة الآتية: معرفة = معرفة - معرفة مدخل. فالمعرفة التي حصلها الطالب هي القيمة المضافة لالتحاقه بالجامعة؛ وأما ما يحدد جودة تلك القيمة المضافة هو التنافس في سوق العمل والقدرة على الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي. وتلك القيمة المضافة، أي التغيير في المعرفة (Δ المعرفة)، يكون نتيجة لثلاث عوامل:

1. المنهج / المدة: وهنا تطرح تساؤلات تتمحور حول ماهية المنهج المستخدم ونوعيته، والمدة المطلوبة لاستيفاء هذا المنهج.
2. المعرفة الخبيرة للأستاذ: والتساؤل هنا يتمركز حول الكفاءة النوعية للأستاذ الجامعي.
3. السياسة المؤسسية: ويقصد بها هنا ما يحدد آلية العمل بحيث يسهل مع تلك السياسة انتقال المعرفة وتداولها.

ضوابط لتطبيق نموذج المعرفة في مؤسسات التعليم العالي العربية

لا ينبغي الأخذ بهذا النموذج من غير ما ضوابط تحكم تطبيقه وتقييمه في مؤسسات التعليم العالي العربية. وتلك الضوابط تقوم على الأداء الأمثل، على المستويين الفردي والمؤسسي. وفيما تلك الضوابط:

1. يتوجب على الجامعة أن تعي دور نموذج المعرفة ووظيفته في بناء القدرات لمستقبل الجامعة والطلبة. وعليه، فهذا الأمر يتطلب صياغة رؤية جديدة تعبر عن نظرية للتعليم العالي بحيث تكون النظريات الاقتصادية والتنظيمية والاجتماعية عوامل تمكين لتلك النظرية الشاملة، وغير مقتصرة عليها.

2. ينبغي على الجامعة أن تفهم معنى المعرفة وقيمتها التنافسية في عالم أصبح أكثر تشابكا وتعقيدا. وتكمن قيمة المعرفة في مدى ما تضفيه من الإبداع والابتكار. ولا جدال في أهمية قيمة المعرفة بالنسبة للعمل المؤسسي، لكن البحث أخذ مداه بين الباحثين في تحديد موقع تلك القيمة وأسلوب توظيفها. وقد حدد الباحثون محددات الاستفادة من قيمة المعرفة والتي يمكن من خلالها القول أن أي مؤسسة، ومنها الجامعة، لا بد وأن تحرص على قيمة المعرفة فكرا وممارسة؛ ومن أهم تلك المحددات (للاستزادة انظر، القحطاني، 2010):

- تداول المعرفة
- التشارك في المعرفة
- وفرة المعرفة
- تقنين المعرفة
- قيمة المعرفة ليست مرتبطة ارتباطا كبيرا بالتكلفة
- ويمكن أن نحدد من حيث العموم ملامح تلك القيمة من خلال السلسلة التي تعمل (سلسلة قيمة المعرفة)؛ فتلك السلسلة هي التي تحدد إجرائيا آلية توظيف تلك القيمة فكرا وممارسة:
- توليد المعرفة (Creation): وهو إبراز المعرفة إلى عالم الوجود إما من خلال ممارسات معينة كممارسة أنماطٍ مم التفكير يشجع توليد المعرفة، أو توفير مصادرها بحيث يسهل الإطلاع عليها.
- الاستخدام (Use): وهو تحويل تلك المعرفة من حيز التجريد إلى مجال التطبيق.
- الإدارة (Management): وهو تنظيم تلك المعرفة من حيث:
 - أ. الحفظ (Preservation): هو تخزينها وتبويبها وتصنيفها؛
 - ب. المشاركة (Sharing): وهو تبادلها من كافة المعنيين بشفافية ومسئولية؛
 - ج. الدمج (Integration): وهو دمجها في العمليات قيد التنفيذ.

3. هناك بعض الأسئلة التي يساعد طرحها على معرفة أكثر عمقا لدور نموذج المعرفة. وتلك الأسئلة هي:

أ. ما هي نماذج المعرفة الأخرى التي توظفها الجامعات الأخرى للاستفادة من التجارب الذكية؟

ب. ما هو مدى التزام الإدارة الجامعية العليا بنموذج المعرفة في مشروعات تطوير الجودة؟

ج. ما هي نقاط القوة التي تتميز بها الجامعة والتي تسمح بالاستفادة القصوى من نموذج المعرفة؟

الخاتمة وتوصيات

يحتاج التعليم العالي في العالم العربي إلى التطوير والتحسين الملحوظ على أكثر من صعيد. لكن مهما يكن ذلك التطوير، لا بد وأن

يستند إلى تحقيق الرسالة المعرفية للجامعة. وفي ضوء نموذج المعرفة الذي قدم في الدراسة، يمكن أن نخرج بعدد من التوصيات:

1. صياغة سياسات ووضع آليات تهيئ الأرضية للدخول الواسع والمقنن لمصادر المعرفة؛

2. التوسع الكمي في الدخول إلى مصادر المعرفة من حيث جعلها الدخول لها من صميم المناهج الدراسية؛

3. تعزيز تطبيقات المعرفة أثناء الدراسة وبعد التخرج لأنها هي ما يحقق القيمة المضافة لاكتساب المعرفة أثناء الدراسة الجامعية؛

4. التطوير المستمر لجودة الأداء لدى أعضاء هيئة التدريس بالجامعات.

المراجع

القحطاني، عبد المحسن عايض (2010، إبريل). فعالية القيادة الإدارية وقيمة المعرفة في المؤسسة التربوية:

دراسة ارتباطية. بحث قدم لمؤتمر التربية الثامن، جامعة اليرموك، الأردن.

Mitra, C. (2005). *Higher education in changing scenarios*. New Delhi: Samskriti.

Orcher, L. (2005). *Conducting research: Social and behavioral science methods*. CA: 8 | الصفحة

Pyrzczak Publishing.

Steyn, G. (2004). Harnessing the power of knowledge in higher education.

Education, 124, 616-631.